(الجزء السابع عشر) (المجلد الثالث)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولوا الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(محرر في يوم الجمعة ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣١٨ — ١٧ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٠)

مدنية العرب

(نبذة ثالثة)

السبب في تأخر الاشتغال بالعلم الدنيوي عن زمن الراشدين . العلم في الدولة العباسية . من عضده في الشرق من دونهم . العلم في الاندلس وفي مصر . العلوم الفلكية عند العرب . التنجيم والكهانة . السبب في اشتغال المسلمين بالتنجيم مع نهي الدين عنه . العلم قبل الاسلام . الساعة الدقاقة . اخذ العلم للعمل . التحول بالعلم عن العمل الى النظريات وسببه . مشاهير الفلكيين والاكتشافات والاختراعات الاسلامية .

لا يظهر شيء في الكون الا اذا وجد المقتضي لوجوده مع عدم المانع منه والدين الاسلامي اعظم مقتضٍ للمدنية الحقة علومها وفنونها واعمالها المادية والأدبية فاما آثاره الادبية فقد وجدت بوجوده على اكمل الوجوه حتى ان المنتهين الى غايات المدنية الحاضرة لا يساوون بل ولا يقاربون اهل القرن الأول الاسلامي في آدابهم الشخصية ولا الاجتماعية . واما العلوم الرياضية والطبيعية واكتشاف اسرار الكون وما يتبع ذلك من الاعمال المادية فلم تظهر في المسلمين الا بعد تحقق الشرط الآخر «عدم المانع»

فان المسلمين كانوا فى اول ظهور الاسلام خصماء العالم البشرى الذين تصدوا لتهذيبه وترقيته وكانوا مهددين على حياتهم وجلين من انطفاء نور دعوتهم فلما امن الخائف . واطمأن الواجف . واستقرت من الاسلام دعوته . وعلت كلمته ونفذت شوكته . انفتقت ارض العقول عن نبات ما بذره القرآن . من بذور العلم والعرفان . وقد سبق التنويه بهذا فلا نطيل به

قام ابو جعفر المنصور الخليفة العباسى يستنهض الهمم . ويستنزل الديم ويبعث النفوس الى اظهار استعدادها بكشف الحجاب عن وجوه مخدرات الطبيعة وافشاء اسرار الخليقة واقتدى به الخلفاء من بعده الى ان جاء المأمون فكان قطب الرحا لتلك الحركة بل كان مدار فلك العلم ومطلع كواكبه ومشرق شمسه وجرى من بعده من العباسيين على آثاره ولكن بهمة انزل من همته وحرارة اوطأ من حرارته ولم يضر هذا بالعلم لان روحه فائضة من الاسلام نفسه ولذلك بقى قائماً على صراطه بعد ما صاح صائح الفتنة بالدولة العباسية وزلزل الخارجون عليهم ملكهم زلزالا . نعم انه كان تارة يسير الوجيف وتارة يتنزل تنزلا بحسب ضعف الفتن وشدتها . وكان طاهر بن عبد الله رابع ملوك الطاهرية الذين كانوا اول بلاء على العباسيين وعضد الدولة وشرف الدولة من البويهية كل يأخذ بعضد العلم ويعد اليه ساعد المساعدة . وكان شرف الدولة يتلو تلو المأمون فى تأليف الجمعيات العلمية لترقية الفنون . ولا ننسى فضل ملكشاه ومحمد شاه من السلجوقيين واشد ما مر بالعلم الذى اثار مصابيحه العباسيون عاصفة فتنة التتار فهى التي تداعت لها اركان مدرسة بغداد وكادت تطفئ كل هاتيك الانوار . وما كان مثل العلم فى الاسلام الا كمثل الماء الغمر المتحدر اذا غاض فى مكان

فاض فى آخر واذا سدله مجرى تحول الى مجرى غيره فلا تزول بالمرة اثباجه (مجاريه) ولا تنقطع امواجه . تحولت قوته من بغداد فاخذت ذات اليمين وذات الشمال وظهرت فى دمشق الشام وفى شيراز وسمرقند وغيرها من الامصار الاسلامية حتى عم العرب والعجم فكان من انصاره التتار انفسهم ولا ننسى ان العرب ينبوعه الاول ومنهم استقى واستمد الآخرون

تلك اشارة الى شأنه فى الشرق وما كان مغرب العالم الاسلامى باقل من مشرقه بهاء ولا فيضانه اقل ريًّا ورواء فان العرب وخلفاءهم الامويين فى الاندلس فجروا ارض الاندلس بالعلوم عيونًا وانهارًا . ورفعوا للمعارف صرحًا عاليًا ومنارًا . وافاضوا على اوربا من شموسهم انوارا . فكانت اشبيليه وقرطبه وغرناطه ومرسيه وطليطله مهبط اسرار الحكمة ومهد الآداب والصنائع . ولقد علا مدُّ العلوم ثمة ففاض على بلاد البربر فكان فى طنجه وفاس ومراكش وسبته من معاهد العلم ما سامى اصحابه علماء عواصم الاندلس

واما مصر وهى صدر البلاد الاسلامية فى القديم والحديث فلم يكن حظها من العلم بعيدًا من حظ الجناحين فان السيدين فيها نصروا العلم نصرًا مؤزرا فاذا كانت دار الحكمة قد طفئت انوارها وعفت آثارها فهذا الازهر قد صابر الايام وغالب الاحوال والاعوام وبقى شاهدًا عدلا وحكما فصلا ينشد بلسان الحق

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

هذا مجمل من خبر مدنية العرب وان ابيت الا التفصيل فدونك منه جملا

« العلوم الفلكية »

كان عند العرب رشاش من معرفة الظواهر الفلكية مشوبا بخرافات التنجيم الموروث عن الاقدمين فحكم الاسلام بمحو ضلالة التنجيم فيما محاه من ضلالات الكهانة والعرافة واجاز ماعدا ذلك واستلفت الانظار الى الاعتبار به والاستدلال على حكمة مبدعه ومدبره ولكن التعليم اذا لم تترب عليه الامة بالعمل لا يقوى بمجرد القول على استئصال الاهواء لاسيما اذا كانت موروثة . وحب الاشراف على مافى ضمير الغيب من الاسرار وما يجيء به المستقبل من الحوادث من أقوى الاهواء البشرية وهو الذي فتن الناس بالكهان والدجالين واستعبدهم للعرافين والمنجمين . لهذا ظل التنجيم فى الاسلام مقرونا بعلم الهيئة الفلكية ومن أسباب ارتقائه على كثرة ما ورد فى التنفير عنه . ومن اسباب تقدمه الحقيقية الاستعانة به على معرفة سمت القبلة ومواقيت الصلاة وقد جعل العرب كل واحد من هذين علما مستقلاً بذاته عن سائر العلوم الرياضية

لما ظهر الاسلام كانت العلوم والمعارف متلاشية عند جميع الامم وكان فى النصارى بقية استعان بهم العرب على ترجمة كتب فلاسفة اليونان كارسطوطاليس وسقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم وقد أحسن المهدى والرشيد صلة هؤلاء المترجمين وأفاضا عليهم النعم ثم وجد فى المسلمين من يحسن الترجمة ولم يكن أولئك المترجمون متمكنين من العلوم التى نقلوها الى العربية ولذلك وقع فيها الغلط الكثير فصححه بعد ذلك الراسخون فى العلم من العرب كما صححوا كثيراً من غلط اليونانيين أنفسهم وسنلم ببعض ذلك فى تضاعيف الكلام . أول من نعرفه من النابغين فى

ذلك العصر من المسلمين (ماشاء الله) الفلكي المؤلف في الاصطرلاب ودائرته النحاسية واحمد بن محمد النهاوندي وأول من أحسن الترجمة حجازي ابن يوسف معرب كتاب اقليدس . تناول العرب هذه الكتب من قوم كان حظهم منها حفظها على انها من اعلاق الذخائر ومآثر الجبل الغابر ومن كان عنده أثارة من علم فانما هي لوك الكلمات وترديد العبارات فكان من بصيرة العرب ان يأخذوا العلم للعمل عملا بالحديث الشريف « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ولذلك ظهر أثر العمل في عصر الرشيد وناهيك بالساعة الدقاقة المتحركة بالماء التي أرسلها الى شرلمان ملك فرنسا ومصلحها وعظيم اوربا لعهده ففزع الاوربيون منها لذلك العهد وتوهموا انها آلة سحرية قد كمنت فيها الشياطين وان ملك العرب ما أرسلها اليهم الا لتغتالهم وتوقع بهم شر ايقاع . ولو استقام العرب على هذه الطريقة لبارك الله لهم في ثمرة العلم وكان ذلك داعياً لاستدرار الترقي فيه ولكن صدفت دون ذلك الصوادف وأهمها مزج الدين بالعلم وما نبع ذلك من المجادلات والمناظرات التي جعلت وجهة العلم نظرية محضة فعقمت بعد النتاج وتحول كمالها الى خداج

واتل عليهم نبأ المأمون . ورقيه بهذه العلوم والفنون . استخرج هذا الامام لقومه العلم من أثينا والقسطنطينية بما احسن من الصلة بينه وبين ملوكها من اليونانيين وأنفق بسعة على ترجمة الكتب التي اجتابها من بلاد اليونان ومن بقاياهم في مصر والاسكندرية فترجمت في عهده هندسة اقليدس وتيودوس وابولونيوس وايسيقليس ومينيلوس وشرحت مؤلفات ارشميه في الكرة والاسطوانة وغيرها . وألف يحيى بن أبي منصور زيجا فلكيا

مع سند بن علي وكان هذا قد ألف ارصاداً مع خالد بن عبد الملك المروزي في سنتي ٢١٧ و ٢١٨ هـ وهذان هما اللذان قاسا مع علي بن عيسى وعلي بن البحتري خط نصف النهار بين الرقة وتدمر . وألف احمد بن عبد الله ابن حبش ثلاثة ازياج في حركات الكواكب وحسبوا الخسوف والكسوف وذوات الاذناب وغيرها والسوادات التي بقرص الشمس ورصدوا الاعتدال الربيعي والخريفي وقدروا ميل منطقة فلك البروج واصلحوا بأمر المأمون غلط كتاب المجسطي لبطليموس الذي ترجم على عهد ابيه الرشيد . ورصد احمد بن محمد النهاوندي السماويات وألف ازياجاً جديدة ولخص محمد بن موسى الخوارزمي للمأمون الازياج الفلكية الهندية ثم توالى البحث في الشرق مصحوبا بالاكتشاف والاختراع وبرع في الفلك خلق كثيرون منهم محمد واحمد وحسن ابناء موسى بن شاكر الذين كملوا الزيج المصحح وحسبوا الحركة المتوسطة للشمس في السنة الفارسية وحددوا ميل وسط منطقة البروج في مرصدهم (رصدخانه) المبني على قنطرة بغداد وعرفوا فيه فروق حساب العرض الاكبر من عروض القمر . وعمل كبيرهم محمد تقويمات لمواضع الكواكب السيارة استعملت الى ما بعد زمنه وعرب لتلميذه ثابت بن قرة (المتوفى سنة ٢٨٧ هـ) كتاب المجسطي ثانية وبين تصحيحات من تقدمه من عهد الرشيد لاغلاط بطليموس وزاد عليها ملاحظات مفيدة . وممن ألف في الارصاد والازياج ابو العباس فضل بن حاتم النيريزي شارح المجسطي . وقد صحح هذا اغلاطا في ارصاد الفلكيين المتداولة الى زمن المأمون وبين في ازياجه الخسوف والكسوف ومحاق الكواكب السيارة وعمل بازياجه من بعده مدة قرن واحد . ومن أشهر

فلكي المشرق محمد بن عيسى المهاني والبتاني الذي سماه الافرنج بطليموس المسلمين (المتوفى سنة ٣١٧هـ) وهو الذي جمع كليات المعارف المكتسبة في عصره وألف أربعة ارصاد في الشمس والقمر ورسالة في الفلك ورصد السماء بالرقة . ومنهم علي بن اماجور واخوه الاذان رصدا السماء . وألفا زيجا عجيبا وبينا طريقة جديدة لاكتشافات فلكية وفروقا ظاهرة في حساب حركات القمر كما حسبها اليونان والعرب من قبل كما بينا ان حدود اكبر عروض القمر ليست واحدة دائما ثم جاء من بعدهما أبو القاسم علي بن الحسين الملقب بابن الاعلم وعبد الرحمن الصوفي اللذين تعلم منهما الفلك الملك عضد الدولة البويهي ونبغ في عصره وعصر اخيه شرف الدولة (وقد مر ذكرهما) كثيرون لما كان لهما من العناية بتعضيد الفنون (لها بقية)

﴿ الشعر العربي — تتمة ﴾

لحضرة الاديب اللوذعي ، مصطفى صادق افندي الرافعي

أما فنون الشعر فما زالت الايام تلد منها أخا بعد أخ من لدن امرئ القيس حتى وقف ابو تمام في طريق ابنائها فقبض على عشر بأصابعه وقام عليها بحماسته يعرفها الشعراء فلا يغادرون صغيرة ولا كبيرة الا ومنها في اذهانهم ما يفعله ثوبوب الغادية بالروضة القحلاء . وهنالك ضرب بينهم وبين معشش الابناء (كذا) بسد فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا .

بينما كان الشعراء في هذا القيد يهيمون في كل واد بين حماسة ومراث وادب وتشبيب وهجاء واضافات وصفات وسير ومليح ومذمة الجنس